استراتيجيات الإقناع في الخطاب الحسينيّ

مقاربة في الإنجاز والتأثير

الكلمات المفاتيح (الاقناع – الخطاب – التأثير)

م. د. أحمد حسين حيال

وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الرصافة/ الثالثة

ملخص

ينتمي الخطاب الحسينيّ الممثل بكلمات الإمام الحسين (عليه السلام) المصاحبة لبدء خروجه حتى استشهاده إلى الخطاب الشفوي الحاوي قيمة اقناعية كبرى؛ وهذه القيمة تعود إلى مقاصد هذا الخطاب والهدف من إنشائه، وهي محاولة التأثير في المخاطب (جمهور الأمة الإسلامية)، وتغيير قناعاتهم، بعدم الاعتراف بالواقع السياسي، وكذلك محاولة تغيير سلوكهم بالخروج عليه بالسيف. وقد عمد المتكلم (الإمام الحسين عليه السلام) في سبيل تحقيق مقاصد خطابه، لاستعمال أعمال لغوية مبثوثة في كلماته الموجهة إلى مجاميع متباينة من المتلقين، فكانت هذه الأعمال تستبطن قوة إنجازية وقيمة تأثيرية عالية، تقسمت هذه القوة الإنجازية على قسمي العمل اللغوي المباشر وغير المباشر.

Persuasion Strategies In the letter al-Husseini Approach in achievement and influence

Dr. Ahmed Hussein Haial

The Ministry of Education / General Directorate for Education in the province of Baghdad Rusafa / Third

Abstract

Khattab al-Husseini belongs to the oral discourse containing great persuasive value; And this value back to the purposes of this letter and the aim of its creation It is an attempt to influence the listener (audience Islamic nation) , and change their convictions , Not to recognize the political reality , And try to change their behavior as well as to leave him with the sword .Was baptized speaker (of Imam Hussein, peace be upon him.

١- توطئة:

يتخذ الخطاب الإنساني الصورة الأبرز التي يتواصل بها الناس؛ ويعتمد هذا التصور على الإبانة والوضوح في متن الكلام، ويعد الإقناع من الأغراض المؤسسة لهذا التواصل؛ فالمتكلم يروم من عرض خطابه التأثير في قناعات المخاطب، وبالعودة الى التراث العربي، ولاسيما الخطاب الشفويّ، فإننا نكتشف متناً شفوياً حوى قيمة تواصلية إقناعيه عالية؛ لأنه تأسس لغايات إقناعية في الأساس، ذلك هو الخطاب الموجه من الإمام الحسين (عليه السلام)، إلى جمهور الأمة بنخبها وعامتها، في سبيل التأثير في قناعاتهم، وتغيير سلوكهم تبعاً لذلك، وعدم الخضوع لرغبة بني أمية في تنصيب يزيد خليفة للأمة الإسلامية، وهو خطاب يكتسب قيمة إضافية للظروف التي قيل فيها؛ لحساسية الموقف الإسلاميّ في تلك المرحلة؛ إذ شغل هذا الخطاب مرحلة زمنية تأثرت كثيراً في المساحة المكانية؛ لذا يقسم على مراحل ثلاث:

أ- من موت معاوية إلى خروجه من مكة، ويشمل كل ما قيل في المدينة ومكة.

ب- من خروجه من مكة إلى وصوله إلى كربلاء.

ج- في كربلاء حين وقوفه فيها، وتشمل كل ما قيل في واقعة الطف.

والملحوظ على الخطاب الحسيني في مراحله الثلاث أنه موجه إلى فئات مختلفة، فحينما كان (عليه السلام) في المدينة ومكة رفض البيعة رفضاً شديداً، موجهاً كلامه إلى النخبة من رجال الأمة الإسلامية، أما في المرحلة الثانية، وبعد أن وصلت إليه كتب أهل الكوفة تدعوه إلى القدوم بعد أن " أينعت" الكوفة، وهناك "رجال مجندة"، انتقل الحوار ليصل إلى مناطق أوسع، فأرسل الإمام رسائل يستجمع فيها العدة والعدد، وفي هذه المرحلة انتقل الخطاب إلى العامة، فضلاً عن النخبة. وفي المرحلة الثالثة، بعد أن بدأت أحداث المعركة الحاسمة سلط الإمام (عليه السلام) خطابه على الجيش المقابل له، ولم يغفل في هذه المرحلة توجيه كثير من خطاباته نحو أنصاره وأهل بيته. والإمام في كل خطابه ينحو إلى استعمال التراكيب اللغوية الحاوية قيماً إنجازية كالأمر والنهي والاستفهام.

٢- الإقناع: المصطلح والمفهوم:

إن مسايرة الباحثين في رؤيتهم لاشتقاق كلمة (إقناع) تكشف أنهم يرون أن المواد المعجمية تتمحور في بيان معنى جذر (قنع) الذي اشتقت منه كلمة (إقناع) حول معنيين هما، (السؤال، والرضا)[١]، في حين أنّ البحث في المعجمات العربية يدلنا على أن (إقناع) مشتق من (أقنع)، قال أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) : " يُقَالُ: أَقْنَعَ لَهُ يُقْنِعُ إِقْنَاعًا. وَالْإِقْنَاعُ: مَدُّ الْيَدِ عِنْدَ الدُّعَاءِ. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ عِنْدَ إِقْبَالِهِ عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي يَمُدُّ يَدَهُ إِلَيْهَا. وَالْإِقْنَاعُ: إِمَالَةُ الْإِنَاءِ لِلْمَاءِ الْمُنْحَدِرِ"[٢]،

فالدلالة المكشوفة من هذا النص هي تسليط الجهد وتركيزه جهة ما في سبيل تحصيل المراد، وهذه الدلالة تلتقي التقاءً مباشراً مع المفهوم الاصطلاحي، الذي إن رمنا تعرّفه لوجدناه في التراث العربي "حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعل شيء أو اعتقاده"(٣)، أما صاحب مفاتيح العلوم فرأى أن الإقناع هو " أن يعقل نفس السامع الشيء بقولٍ يصدِّق به وإن لم يكن ببرهان"(٤).

أمّا المحدثون فلم تكن تحديداتهم ببعيدة عمّا قيل؛ فالإقناع عندهم "محاولة واعية للتأثير في السلوك"(٥)، وهو " قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري العاطفي عند المتلقي"(٦)، أو هو "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما (أو يعتبره الخطيب) شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك"(٧)، ورأى الدكتور سعيد بنكراد أنّ الإقناع "نشاط من طبيعة مغايرة، فالغاية الأولى والأخيرة للملفوظ في هذه الحالة هي التأثير في الآخر والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج ما أو التخلي عن سلوك ما"(٨)، وقد ركّزت الدكتورة ذهبية على مقاصد الإقناع، فرأت أنه يقوم على "التأثير في السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يؤدي عملاً أو إزعاجه "(٩).

تلتقي تحديدات القدماء والمحدثين بوسم الإقناع بسمات خاصة؛ هي:

١- إنه عمليّة قصدية من المتكلم موجهة إلى السامع.

٢- غاية المتكلم إحداث تغيير ما في المخاطب.

٣- الإقناع لا يستلزم بالضرورة الاقتناع.

من هنا نستطيع تحديد الإقناع بالقول: إنه عمل لغويّ يعمد فيه المتكلم إلى تغيير قناعات المخاطب العقليّة؛ ليؤثر في سلوكه، مستعملاً وسائل لغوية، ومنطقية.

٣- الإقناع والحجاج:

للحجاج مفهومات متباينة تتباين لتباين التصورات الضامة لها، فمنها تصورات تجعله ينتمي إلى البلاغة الكلاسيكية الأرسطية، أو المنطق الطبيعي؛ ومنها تصورات تضعه في دائرة الحجاج وتحليل الخطاب(١٠)، والحجاج بمفهومه التابع لهذه التصورات، قد يكون نافعاً في دراسة الخطاب دراسةً كاشفة عن العلاقات اللغوية الرابطة بين بنياته والسياقات التي قيلت فيها هذه البنيات، ومنها تصورات تجعله مفهوماً يرتبط باللغة والخطاب؛ والحجاج تبعاً لهذا التصور هو "نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"(١١).

وقد ربط جلُّ الباحثين الإقناع بنظرية الحجاج، حتى صار كأنه تلازم فكريّ، وقلما نجد باحثاً يتناول الإقناع لا يعرض للحجاج ومفهومه ومجالاته، ونجد أن هناك ترابطاً كبيراً بينهما، لكن هذا الترابط لا يرتقي إلى حدّ اللزوم؛ لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية، وهذا يعني أن كل نصٍ حجاجي هو نص إقناعي، وليس كل نص إقناعي نصاً حجاجياً، وهذا القول يلتقي بملامح الحجاج التي وضعها "بيرلمان" وهي(١٢):

١- أن يتوجه إلى مستمع.
٢- أن يعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
٣- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
٤- لا يفتقر تقدمه ــ تناميه ــ إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
٥- ليست نتائجه ملزمة.

والإقناع هو غاية محورية في الخطاب الحسيني وقد فرضت هذه الغاية سطوتها على الخطاب، ولهذا ارتكز الخطاب الحسيني على وسائل محددة حتى يكون خطاباً مقنعاً ومؤثراً، منها ما سنتعرفه في أثناء البحث، وهي:

- استراتيجيات إقناعية.
- القوة الإنجازية المتضمنة في القول.

٤- استراتيجيات إقناعية:

إن المضامين العالية التي حواها الخطاب الحسيني منذ موت معاوية ودخول الأمة الإسلامية بدوامة كبرى عنوانها البيعة ليزيد، أطّرت الخطاب الحسينيّ بأطرٍ معرفية شاملة جعلته لا يغفل أي منحى من مناحي الحياة في سبيل كشف الخور الذي سيصيب الأمة، إن هي رضيت بيزيد حاكماً عليها؛ وقد انعكست هذه المضامين لتظهر في أثناء الكلام الشريف، ولتعرف هذه المضامين وجدناها تتخذ استراتيجيات ثلاث، هي على النحو الآتي:

٤-١- الاستراتيجية النفسية:

تتقوّم هذه الستراتيجية على حقيقة مفادها "أن المخلوق البشري تركيب معقد من مكونات بيولوجية وعاطفية وإدراكية، ومن بين هذه الأنواع الثلاثة لابد أن ترتكز الاستراتيجية الدينامية النفسية، إما على عوامل عاطفية أو عوامل إدراكية"(١٣)، "يعمد الواضعون لهذه الاستراتيجية إلى تحديد مجموعة خطية من المفاهيم هي المعبر عنها بالحاجات النفسية والدوافع والمعتقدات والمصالح، وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف، وتعتبر هذه العناصر بواعث

أساسية لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السلوك لدى الفرد وتفضيلاته وأولياته أي إنها البوابة الرئيسية لفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير"(١٤)، وحينما نعود لكلام الإمام الحسين (عليه السلام) نجده ركّز على الحالة النفسية والعاطفية لدى المخاطبين من هذا قوله: "**الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، أيها الناس، خُطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، ... رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله**"(١٥). إن السياق الذي قيلت فيه هذه الخطبة يفرض علينا تصوراً أن المخاطب المقصود نوعان: الأول من يناصر الإمام الحسين(عليه السلام) والآخر من يعارضه، وهو في هذا يهيئ الجانبين لما سيحدث وأن النتيجة الحتمية لهذا الصراع هو الموت، وعليه يجب أن يتعظ الطرفان؛ العدو والنصير، وأن يجعلوا مقياس الأعمال هو القرب من الله، والإمام في هذا يمثل أنموذجاً فريداً من القادة؛ "لأن القادة غالباً ما تستبعد الموت في خطاباتها لغرض إزالة الرهبة التي من شأنها أن تؤثر في الفاعلية القتالية للأشخاص داخل المعركة"(١٦)، هذا النموذج المنفرد للقائد جعل الشيخ الآصفي يقول: "هذه الخطبة عجيبة في لهجتها، عجيبة في مضامينها ودعوتها، وهي تتضمن الاستنصار والترغيب والتزهيد والدعوة والرفض"(١٧).

وإذا انتقلنا إلى سياقات بعيدة عن تلك التي قيلت فيها هذه الخطبة، وبالتحديد إلى واقعة الطف، نجد أن الموعظة والإرشاد حاضرتان في قوله (عليه السلام): "**الحَمْدُ لله الّذي خَلَقَ الدُّنْيا فَجَعَلَها دارَ فَناءٍ وَزَوالٍ، مُتَصرِّفَةً بِأَهْلِها حالاً بَعْدَ حالٍ، فَالْمَغْرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ، والشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلا تَغُرَّنَّكُمْ هذِهِ الدُّنْيا، فَإنَّها تَقْطَعُ رَجاءَ مَنْ رَكَنَ إلَيْها، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فيها**"(١٨)، استجمع الإمام الحسين (عليه السلام) في كلامه هذا كل معاني النصح والوعظ والإرشاد في سبيل التأثير في نفوس المخاطبين، ومما يزيد من القيمة النفسية والبعد الوعظي في هذا الكم أنه قيل في سياق الحرب، وجيش عمر بن سعد يحيط بالإمام، لكنه مع هذا لم يمل عن قصده العام، وهو الإصلاح، وقد ركز هنا على إصلاح النفوس الإنسانية بتذكيرها بأن ما يسعون في سبيله ويقاتلونه من أجله؛ أي: الدنيا إنما حقيقتها الزوال ولو بعد حين، وهو في هذا التوصيف للدنيا استطاع أن ينتقل بها من عالم المعنويات غير المرئي إلى عالم المحسوسات فنسب إليها (الفتنة، والغرور، والقطع، والخيبة)، وتبرز قيمة العدول لارتباط نفوس المخاطبين (جيش عمر بن سعد) في الملذات الدنيوية وانغماسهم بها، فكان الخطاب مطابقاً لحال المخاطب.

نلحظ من الخطبتين المتقدمتين أن المسار النفسي كان حاضراً منذ المسير الأول للإمام الحسين(عليه السلام)، حتى واقعة الطف، ولم يتأثر هذا المسار بفعل الجيوش المحاصِرة للإمام، أو بفعل المثبطين له، الرافضين لخروجه لأسباب مختلفة، ولم يعمد الإمام إلى عرض قضايا جديدة على المخاطبين، بل إن الحاصل في هذين الخطبتين هو شحن الذاكرة الإنسانية لاستذكار القيم الإسلامية، وترك السير في المسار المنحرف.

٤-٢- الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية:

تتبني هذه الاستراتيجية على فكرة مفادها أن القناعات الشخصية، وسلوك الفرد لا يعتمدان على العوامل العاطفية أو الإدراكية، بل إنها تتقوّم في كثير من حالات الاعتقاد والسوك على ثقافات مجتمعية "فالثقافة تحمل في طياتها الأشكال السلوكية والقوالب الفكرية التي تطبّع عليها الفرد، ويضاف إليها كذلك عملية التعلم الاجتماعي التي هي أحد أشكاله، فالثقافة ليست حكراً على معاهد أو مؤسسات تعليمة، وإنما قد تكتسب بطريقة عفوية وتلقائية نتيجة تفاعل الفرد مع محيطه"(١٩).

وقراءة الخطاب الحسيني مجتمعاً من دون فصله عن سياقه ترسم لنا خطاً ثقافياً عاماً سار فيه الإمام الحسين(عليه السلام)، يتمحور هذا الخط حول خلق جو ثقافي رافض لكل صور الاستبداد والطغيان، وعلى رأسها الحاكم المستبد الذي اغتصب حق الأمة بالحكم، ومن هذا قوله (عليه السلام): " **أيُّها الناسُ، إنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم قال: مَنْ رَأى سُلْطاناً جائِراً مُسْتَحِلاًّ لِحُرَمِ اللهِ، ناكِثاً لِعَهْدِ اللهِ، مُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ فِي عِبادِ اللهِ بالإِثْمِ والعُدوان، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ ولا قَوْلٍ، كان حَقّاً على اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ**"(٢٠)، وقد رام الإمام الحسين من قوله هذا تغيير المسار الثقافيّ الاجتماعيّ الراسخ في ذهن المجتمعات الإسلامية القابعة تحت تأثير سياسة بني أمية التي جعلتها سياسة مقبولة، تغيير مسارٍ آمَنَ بالعصبية القبلية، وإثارة الروح الجاهلية، الذي نجده واضحاً في معركة الطف حينما نادى الشمر: "**أين بنو أختنا؟ أين العبّاس وإخوته؟ فلم يجبه أحد، فقال الحسين (عليه السلام): "أجيبوه و إن كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم". قال له العبّاس(عليه السلام): " ماذا تريد" ؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون. فقال له العبّاس(عليه السلام): "لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمّننا وابن رسول الله لا أمان له**"(٢١)، هذا المسار الثقافيّ الجاهليّ الذي رام الامام الحسين(عليه السلام) تغييره وإبداله بمسار إسلاميّ بحت، هذا المسار فرض رؤيته على الجبهة المقابلة حتى بلغت تصرفاتها الذروة في الجاهلية، ولذا نجد أن الامام(عليه السلام) ركّز كثيراً على تغيير هذا المسار عن طريق الاصلاح الذي كان المقصد الأسمى من خروجه ذلك المقصد الذي

استحق أن يضحي بنفسه وأهل بيته وأصحابه؛ لتحقيقه، أو في طريق تحقيقه، وهذا المسار خطه الإمام بقوله: " **إني لم أخرج أَشِراً ولا بَطِراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خَرَجْتُ لطَلَب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنْكَر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب**عليه السلام"(٢٢)، وقد تضمن هذا الإصلاح خطابين، الأول سياسي، والآخر دينيّ، والمخطط الآتي يوضح هذين الخطابين:

الإصلاح

سياسي

- رفض خلافة يزيد.
- بنيّ هذا الرفض على الاتفاقية المعقودة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، التي بموجبها أن يتسنم الامام الحسين عليه السلام الخلافة بعد هلاك معاوية.
- البيعة ليزيد باطلة؛ لأنها بنيت على أسس قبلية، غير إسلامية.

ديني

- العودة إلى سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- يزيد رجل شارب الخمر قاتل النفس المحرمة، ورجل هذه صفاته لا يجوز أن يكون حاكماً للامة الإسلامية.
- قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: "الخلافة محرمة على آل أبي سفيان"

<u>٤-٣- استراتيجية إنشاء المعاني:</u>

تتبني هذه الاستراتيجية على فكرة تقتضي أن المعاني ترتبط ارتباطاً مباشراً باللغة، وبها يعبر الإنسان عمّا يجول في خاطره، ويتصرف اتجاه العالم الخارجي بناءً على ما يحمله من معانٍ، وهذه البنية المعرفيّة تزود الإنسان بتعريفات للمواقف التي تواجهه، فالإنسان يحكم على العالم الخارجي، ويبني سلوكياته بما قرّ في ذهنه من معانٍ ومعارف(٢٣)، وبناءً على هذا الفهم، نجد الصراعات الإنسانية؛ العسكرية والطائفية تنبع من اختلاف في المعارف الذهنية والمعلومات المكتسبة التي تحصّل عليها الإنسان؛ نتيجة التربية والتعليم التي حصل عليهما في مقتبل حياته، وبالعودة إلى كلام الامام الحسين عليه السلام نجده انعكاساً حقيقياً؛ لما آمن به من معارف، التي حصرت في القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، من هذا قوله عليه السلام: " **لعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله**"(٢٤)، عرّف الإمام في كلامه هذا الحاكم من منظور إسلاميّ خالص، مستعملاً أسلوب الحصر؛ قاصداً أن من لم يتصف بهذه الصفات (عامل بكتاب الله، عادل، متدين، يدور مع أمر الله حيث دار)، فهو ليس حاكماً في المنظور الإسلاميّ ويترتب على هذا بطلان البيعة لهذا الحاكم، وجواز الخروج عليه، وهو أمر

غير خاضع لمتطلبات الزمن والمكان، بل هو أمر عابر لحيثياتهما؛ لذا قال الإمام الحسين(عليه السلام): "**ومثلي لا يبايع مثله**" (٢٥).

ومن المعاني الراسخة في العقيدة الإسلامية مفهومان محوريان هما، الموت والحياة، وقد بينهما الإمام الحسين(عليه السلام) معنيين بالاعتماد على المعارف الإسلامية الحقة تلك التي استقاها من القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، من هذا قوله حينما هدده الحر بالموت أو إعطاء البيعة ليزيد، فقال: "**ليس من شأني من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، ليس الموت في سبيل العز إلا حياة خالدة، وليس الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه، أبالموت تخوفني؟ هيهات طاش سهمك وخاب ظنك، لست أخاف الموت، إن نفسي لأكبر من ذلك، وهمتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي، مرحباً بالقتل في سبيل الله ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي ومحو عزي، فإذاً لا أبالي بالقتل**"(٢٦). إنّ الخوف من الموت ليس من شأن الإمام الحسين(عليه السلام) لماذا؟ لأنّ المعرفة الراسخة عنده تصدح بأنّ الموت في سبيل الله حياة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٦٩)، بل إنّ الموت هو بانٍ مجداً وعزاً للإمام. رسم الإمام(عليه السلام) صورة متقابلة للموت والحياة، وأعطاهما معنيين حقيقيين يختلفان اختلافاً جذرياً عن معناهما عند أعدائه، فالموت في عزٍ حياةٌ خالدة، والحياة في ذل موتٌ، أمّا الأعداء، فكانت الحياة عندهم ملذات دنيوية، وإشباع غرائزهم، والموت فناء ورحيل عن الدنيا.

٤- القوة الإنجازية للخطاب الحسينيّ:

عرّف فلاسفة اللغة (القوة الإنجازية) للقول بأنها قوة الاتصال اللغويّ الإنسانيّ الكامنة في القول، فحينما نتكلم بعضنا مع بعضنا الآخر فنحن نؤدي قوة إنجازية(٢٧).

والقوة الإنجازية تتسلط على التراكيب والعبارات المقولة كافة، فهي، إن خرجت من المتكلم وانطلقت إلى الواقع الخارجي اُنجزَ بها عملاً اتصالياً ما، ولا يستلزم هذا أن يكون القول خبراً أو إنشائياً؛ بل كلا النوعين من القول يتضمن قوة إنجازية، وهذا ما قرّ في مدارج اللسانيات التداولية، ومقتضى هذا الفهم أنّ نظريّة الإنشاء ينبغي أن تُهمَل لفائدة نظريّة لغويّة أعمّ قادرة على احتضان أعمال الخطاب والإحاطة بكل ما نفعله باللغة في جميع المقامات، وهي (نظرية الأعمال اللغويّة)(٢٨)، وهي نظرية لا فرق فيها بين الإنشاء والخبر؛ بل الأساس في هذه النظرية هو القوة الإنجازية ، والقوة التأثيرية.

وكيما تؤدى هذه القوة ينبغي أن يُنتج في ضوء السياق العرفيّ من جانب اللغة والظروف والملابسات والأشخاص، فحينما يقول القائل:(سألتقيك يوم الجمعة)، يلزم أنه قادر على الإيفاء بوعده، حتى تتحقق القوة الإنجازية، وأن ينوي ذلك فعلاً، وأنْ يكون واثقاً من أنّ المخاطب يرغب في رؤيته، وبخلافه فإنَّ المعنى الإنجازي يتحول من (وعد) إلى (وعيد) ، وبعبارة أخرى أنَّ القوة الإنجازية تقتضي ظروفاً مناسبة وقصدية، وهو ما ينبئ بأن دراسته تكشف قواعد تكوّنه داخل اللغة أمراً ممكناً، ولذلك عدّه سيرل فيما بعد أنَّه الوحدة الدنيا للتخاطب اللغوي(٢٩). وبذلك فإنَّ القوة فعل الإنجازية بوصفها المكون الإنشائي المؤثر في كيفية النظر إلى المحتوى القضوي ضمن البنية، فهي تبرز الإحساس من علاقات التخاطب والاعتقاد الذي يصدر عن المتكلم، فتوجه بقية القواعد التكوينية للقوة الإنجازية. فأساس الإنجاز قوته الإنشائية(٣٠).

وقد اتصف كثير من مقاطع خطب الإمام الحسين (عليه السلام) بتوافرها على القوة الإنجازية، وقد تعددت هذه القوة تبعاً لتعدد البنية اللغوية، فمن هذه القوة:

<u>**٤-١- القوة الإنجازية للخبر:**</u>

قال (عليه السلام): " **إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرّحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم**"(٣١)، هذا القول أنجز به الإمام (عليه السلام) عملاً لغوياً تمثل بإيصال رسالة للمخاطب بأن الحسين ينتمي إلى ذلك البيت المرتبط بالنبوة والرسالة والملائكة، وهذا الانتماء يستتبعه اتصاف الإمام بصفات هذا البيت، ومنها، تلك التي قيل الكلام من أجلها الشجاعة وإباء الضيم، فقد رفض الإمام(عليه السلام) النزول عند رغبة الوليد والي المدينة المنورة بمبايعة يزيد، وهذا الإخبار تعدى دائرة إيصال المعلومة؛ لأن المخاطب عارف بانتساب الإمام لهذا البيت الشريف، لتتحكم في إنجازه ظروف السياق التي قيل فيها، التي تلتقي بالتأثيرات السياقية عند (سبيربر وولسن)؛ إذ قررا أنّ التأثير السياقيّ يمارس فعلاً محوريًا في تحديد الإفادة؛ فحضور هذه التأثيرات أساسيّ لتحقق الفائدة وترتبط زيادة الفائدة من القول بزيادة التأثيرات السياقيّة، التي صُنفت على ثلاثة أصناف، هي(٣٢):

١- زيادة المعلومة، الاستلزام المستخرج من الملفوظ ومن سياقه في الوقت نفسه.

٢- إسقاط المعلومة، حينما تتناقض مع قضية محفوظة في ذاكرة المخاطَب.

٣- تعزيز المعلومة القارّة في ذاكرة المخاطب.

وعليه إن كان قول الإمام(عليه السلام) المذكور سلفاً ينتمي إلى الصنف الأول من هذه الأصناف، فكلامه(عليه السلام) الذي وجهه إلى العقيلة زينب عليها السلام، ينتمي إلى الصنف الثالث، فقوله: "**يا أختاه اتق الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون،**

وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته"[٣٣]، لم يكن إضافة معلومة جديدة لها؛ فهي لم تكن جاهلة بهذه المعلومات، ولم تكن غافلة عنها إلا أن الإمام الحسين(عليه السلام) أراد تعزيزها لتناسب المقام المحيط بالمخاطبين، وليبقى الخطاب بينهما متصلاً غير منقطع، فالإخبار لتعزيز المعلومات عند المخاطب يدعو إلى تجديد الذاكرة، وشحن الذهن بطاقة معرفية عالية تبقى بها المعلومات حاضرة من دون نسيان.

وفي النموذجين المقدمين نتلمس أنه(عليه السلام) حاول أن يقنع المخاطب بما يريد عن طريق الإفادة من ظروف السياق المحيطة بالقول، من زمان ومكان، ومستلزمات حوار، ومعلومات مفترضة مسبقاً، والخطابان بحسب ظروف إنتاجهما أديا قيمة تواصليّة إبلاغية ناجحة توجت بقبول المخاطب بالحقائق الواردة في قول المتكلم وعدم الاعتراض عليها.

٤ – ٢- القوة الإنجازية للاستفهام:

بعد وصول خبر هلاك معاوية، دار حوار في ديوان إمارة المدينة المنورة وبدأ والي المدينة المنورة يطلب البيعة ليزيد من الإمام الحسين(عليه السلام)، وبعد الحوار الدائر بينه وبين الوليد ومروان، قال مروان للوليد: "**اضرب عنقه فإنّه صاحب فتنة وشر**"[٣٤] فقال الإمام (عليه السلام): "**أأنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو ؟ كذبت والله ولؤمت**"[٣٥]، هذا التركيب تضمّن سؤالاً، ولكنه لم يكن سؤالاً صريحاً، فهو لم يصدر من جاهل يطلب المعرفة؛ بل هو سؤال إنكاري فليس من شأن مروان قتل الإمام(عليه السلام) ولا هو قادر على هذا؛ لذا أنكر الإمام قوله، متعجباً من جرأته ومدى عدوانيته، والسؤال من هذا النوع هو السائد في الحوارات الشفهية والمناظرات؛ لأنها غالباً ما تجمع أشخاصاً متناقضين، ونادراً ما تكون الأسئلة فيها محايدة وإخبارية محضة؛ لأن التشاحن هو الذي يوجه أقوال المتناظرين، لذلك انتهى (سورل) إلى القول: إنّ الاستفهام في هذه المقامات الحوارية ليس سؤالاً محضاً؛ لأنّ السؤال المحض يتحقق حينما يكون السائل جاهلاً بالجواب[٣٦]، وقد أنكر الإمام(عليه السلام) على (ابن الزرقاء) أن يرد القول عليه أو يجيب بما شاء؛ بل إن المتن التأريخي يجيبنا بلا شك أن مروان تسمّر في مكانه ولم ينبت ببنت شفة.

وقد فرضت طبيعة المناظرة أن ينتشر هذا النوع من الاستفهام في مجمل الخطب الحسينية في مراحلها الثلاث، فبعد ما رأينا في المدينة المنورة من استفهام إنكاري، ننتقل إلى أرض كربلاء؛ لنسمع الإمام(عليه السلام) يخاطب جيش عمر بن سعد بقوله لهم: "**ألست ابن نبيكم، وابن وصيه، وابن عمه؟ وأول مؤمن مصدق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟**"[٣٧].

لقد فرضت ضرورات السياق أن ينتقل الاستفهام في هذا الخطاب من استفهام صريح إلى استفهام إنكاري يقصد به تذكير المخاطبين، فليس المتكلم (الإمام) جاهلاً بنسبه، ولا المخاطبون ناكرين هذا النسب، إنما السؤال هنا سيق لبيان شناعة فعل المخاطبين، ولإلقاء الحجة عليهم، فهم يقاتلون رجلاً ينتسب لهذا البيت النبوي الكريم، وبفعلهم هذا فإنهم في حقيقتهم يقاتلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا الأسلوب ينتقل الاستفهام من الطلب إلى التقرير، فيقرر هذه الحقيقة، لأن التقرير بحسب عبارة اسحق بن وهب الكاتب: "يكون سؤالاً عمّا تعرفه ليقرّ لك به"(٣٨)، ويهدف المتكلم بتقريره هذا إشهاد المخاطب على ما يعرف ويؤمن به، ويريد أيضاً "تأكيد اعتقاد خصمه بوضوح حتى يحصره فيه، درءاً لأي تلبيس أو تنصل بعديين من هذا الاعتقاد. وبهذا التقرير يتأتى للمحاور أن يناظر على أرضية واضحة منذ البداية"(٣٩).

٤ – ٣- القوة الإنجازية للأمر:

يتضمّن فعل الأمر قوة إنجازية عالية؛ لأنه لا يقف عند الأداء الصريح؛ فيخرج إلى أغراض مختلفة، تبعاً لقصد المتكلم وسياقات القول، وحال المخاطبين، ومن هذه الأغراض، اللوم والتأنيب؛ كما في قول الإمام الحسين(عليه السلام): "**أما بعد: فانسبوني، فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحق لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟**"(٤٠)، هذا الخطاب الذي وجه إلى جيش عمر بن سعد، قد استعمل فيه الإمام (عليه السلام) فعل الأمر أكثر من مرة، وسياق الحال يكشف لنا أن قصده بعيد عن طلب استجابة من المخاطبين؛ بل كان قصده توجيه اللوم لهؤلاء القوم الجاهلين الذين يقاتلونه، من غير جرم ارتكبه، طاعة لأمر يزيد، وحباً في الدنيا وملذاتها؛ وهو ابن علي أمير المؤمنين(عليه السلام) وابن فاطمة الزهراء، وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا النسب مدعاة لأن يقف هؤلاء عن قتاله؛ لأنهم يقاتلون رسول الله، وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء، وفي هذا محاولة من المتكلم لاستدراج المخاطب للتفكير بجنايته وعظيم جرمه؛ ليؤثر في تغيير قناعاته الذهنيّة.

وقد فرضت ضرورات السياق وأحوال المتخاطبين، أن تتغير دلالة الأمر، وتتغير مستويات الخطاب، لتغيير جهته، من هذا قول الإمام الحسين(عليه السلام):" **اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنيناً كسني يوسف، فإنهم غرونا وكذبونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**"(٤١)، نلحظ أن الأمر صدر من المتكلم (الإمام) إلى مخاطب هو أعلى شأناً منه (الله تبارك وتعالى)، وقد بُنيَ هذا العدول على قصد المتكلم، وضرورات الخطاب، وحال المخاطب، فقصد المتكلم هو أن يسمع الله شكواه التي توجها بها إليه؛ لينفذ في أعدائه أمره، وقد

فرضت ضرورات الخطاب من علو الذات الإلهية أن يتحمل الخطاب أدباً عالياً من المتكلم يتساوق مع مقتضيات الحوار، ووجود هذا النوع من الخطاب في تلك الأجواء المشحونة بالحركات العسكرية، وأصوات الأطفال وهي تصرخ من العطش، وحال النساء الثكالى، والرجال المجدلين على الأرض من أصحابه وأهل بيته، ووقوف العدو بألوفه، وهو يهم لقتله، كل هذه الصور لم تغير من ارتباط الإمام الحسين(عليه السلام) بخالقه ومعبوده، فهو يطلب منه العون، ويرجو المرتبة العليا في يوم الحشر الأكبر.

وبهذا يتبين أن القوة الإنجازية للأمر تخضع لمقاصد المتكلم ومقتضيات الحوار، وحال المخاطب.

٤-٤ – القوة الإنجازية للنفي:

الصفة المائزة لخطاب المناظرات، هي عدم الخضوع والرضوخ لإرادة الآخر مهما كانت نتائج هذا الموقف، وقد تجسد هذا الفعل جلياً بكلمات الإمام الحسين(عليه السلام) في أرض المعركة؛ إذ رفض أن يخضع لإرادة خصمه مع علمه بالنتائج، لأن كشفاً عقلياً ومنطقياً لأرض المعركة يُستنتج منه أن الإمام الحسين لا يمكن أن يهزم الجيش المقابل له عسكرياً، ومع هذا نادى بصوت عالٍ رافضٍ الخضوع: " **لا وَالله، لا أُعطِيكُم بِيَدي إعطَاءَ الذّليل، وَلا أقِرُّ اقِرار العَبيد**"[٤٢]، والنفي هنا ورد نقضاً وإنكاراً؛ لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب؛ فيرسل المتكلم النفي مطابقاً لمضامينه المعرفية، وطبقاً لما يستشعره "من أحاسيس تبلورت في ذهن المخاطب خطأً ممّا اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي وبإحدى طرائقه متنوعة الاستعمال"[٤٣]، فالإمام الحسين(عليه السلام) سلط النفي هنا تبعاً لمقاصده، الرامي منها إخبار المخاطب بتهافت حيلته، وانكسار عزمه، فهو لن يخضع لهم، ولن يسلم، ولن يقرّ لهم، بأيّ مطلب من مطالبهم، وإن كانت نتيجة هذا الرفض هي الموت فمرحباً به وحيهلا.

هذه الصرامة في استعمال النفي في الخطاب بعد أن كانت موجهة نحو العدو الآثم، تغيرت مع بقاء البنية القولية نفسها؛ أي بنية النفي، وهذا التغير اعتمد على القصد ومقتضيات الخطاب، ونتيجة هذا التغير، تغيرت معه القوة الإنجازية للنفي، وصار الدعاء هو العمل اللغويّ المنجز، كما في قول الإمام الحسين(عليه السلام): "**اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبرَّ ولا أزكى، ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما ترون، وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سواده**"[٤٤]. فهو قد دعا أولاً الله تعالى، كاشفاً له معرفته بأنّ من يقف في صفه اليوم من أهل

بيت وأصحاب هم خيرة البشر، وصفوة الإنسانية، ثم التفت بالخطاب مغيراً جهته مخاطباً أصحابه، سامحاً لهم بمغادرة المعسكر مسقطاً كل ما في ذمتهم من بيعة وحق له، وظلت بنية النفي شاخصة رغم هذا الالتفات؛ لأن العمل اللغوي المنجز هنا (النفي)، أنشئ بناء على مطابقة الكلام لحالة المتكلم النفسية وأحاسيسه ومشاعره، والتي طابقت الواقع الخارجيّ، فالقوة الإنجازية للنفي اعتمدت على شروط أبرزها شرط الصدق، الذي يتعلق باعتقادات المتكلم وإراداته ورغباته ومواقفه.

وقد شغلت أدوات النفي مساحة واسعة من هذا النص؛ نتيجة تكرار هذه الأدوات، وقد أفاد التكرار هنا زيادة في رقي هذه المجموعة وتنزيهها عن الباطل واقترابها من الحق، وكذلك أضفى سمة التوكيد على خطاب الإمام الحسين(عليه السلام)؛ فهو يؤكد- بتكرار أدوات النفي- على خلو ذمتهم من بيعته وإسقاط التبعات الشرعية عن ترك بيعته.

٥- القوة التأثيرية:

تتباين القوة الإنجازية للقول عن القيمة التأثيرية له؛ ومرد هذا التباين إلى أن "الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصدياً بالضرورة. قد تقنع شخصاً بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد ذلك. وكون الأفعال التمريرية هي قصدية في الجوهر، على حين الأفعال التأثيرية قد تكون وقد لا تكون قصدية"[٤٥]، وقد جُعل التأثير -أحياناً- هو القصد من التواصل "فأن نتخاطب يعني أننا نرغب في أن نؤثر في من يسمعنا، إلا في ما ندر، بأن يوافقنا إذا أثبتنا ويجيبنا إذا سألنا وينصاع لنا إذا أمرنا ويعمل بما قلنا إذا نصحنا"[٤٦].

وعليه فإن قصد المتكلم عُدَّ قضية محورية في الكشف عن القيمة التأثيرية للكلام، عند أصحاب نظرية العمل اللغوي، والحجاج، وإن عدنا للخطاب الحسيني وجدناه أسس على قصد التأثير، والتأثير غايته الأولى؛ فقد أنشئ لقصد تغيير قناعات الأمة الإسلامية اتجاه يزيد، وعدم الرضوخ لبيعته، والعودة إلى السنة النبوية الصحيحة.

وقد عرّف بعض الباحثين فعل التأثير بأنه: "الناجم عن عملية الإقناع. ويشترط في تحقق هذا التفاعل توافر الظروف وحدوث الانسجام بين الرغبة الذاتية والإمكانات المتاحة والهدف المطلوب"[٤٧]، وهذا التأثير يُبنى غالباً على فصاحة المتكلم وأسلوبه عرضه للحجج المعتمدة في خطابه وهيأته الوافد بها على المتلقي، و"النظر في التأثير هو من جهة ما نظر في غائب وطلب لباطن يمكن أن يثمر التدقيق فيه بتآزر معارف جمّة من علوم لسان وفلسفة ونفس وأدب وتاريخ وثقافة ومجتمع وسياسة واقتصاد"[٤٨].

ولا يعتمد المدى التأثيريّ للفعل على المنجز القوليّ فحسب؛ بل يضاف إلى هذا المضمرُ في ذهن المتخاطبين، وبالإمكان تحديد المراد من التأثير هنا بالآتي :

١- الأثر الذي يتركه الفعل الإنجازيّ في نفس المخاطب؛ مثل الإقناع، أو توقع أن يقوم شخص ما بشيء ما.
٢- القيمة التي يضيفها المتكلّم إلى ملفوظه.
٣- إقناع المخاطب بالمحتوى القضويّ للكلام.
٤- تسليط المحتوى القضوي للكلام على الحالة النفسيّة للمتكلّم بما يخدم قصده، وأبرز الأمثلة لهذا الدعاء.
٥- محاولة التأثير في الحاضرين حين إلقاء الخطاب، وجلب انتباههم وإن لم يكن الخطابُ موجهًا لهم.

ونحن هنا لا نقرّ بعمل لغويّ خالٍ من الفعل التأثيريّ، بل إنّ خلوّه من المنحى التأثيريّ إحباط للقوة الإنجازيّة، وخرم للتواصل بين المتخاطبين، ولكن هذا التأثير ينبني على درجات مختلفة متفاوتة بحسب سياقات العمل اللغويّ.

وبناءً على ما تقدم يلزم أن يتأثر المخاطبون بفحوى الخطاب الحسينيّ، وأن يبدلوا قناعاتهم، وتبعاً لها سلوكهم، وهو ما لم يحدث مع معظم من خاطبهم الإمام؛ فالقليل منهم بدل قناعاته، على وفق مقررات الإمام(عليه السلام)، فما السبب في هذا؟

نقول إن هناك جانباً مؤسساً في إضفاء قيمة تأثيرية على الخطاب، يتعلق هذا الجانب تعلقاً مباشراً بالمخاطب وليس بالمتكلم، وتقف دون تحقق هذا الجانب في الخطاب مجموعة عوامل نفسية وفكرية، واجتماعية، وسياسية، ودينية، إذ "لا يمكنك أن تقنع أحداً إلا إذا أراد هو الاقتناع، فلا يمكن أن يقتنع أحد بأي حجة مهما كانت واضحة ومنطقية ما لم يكن طالباً للاقتناع راغبا فيه؛ والسبب في ذلك أن الإقناع عملية تتكون من شقين:-

الأول:- المعرفة العقلية، وهذه يسهل توفيرها لمن يراد إقناعه من خلال سرد الأدلّة التي يجب أن تكون واضحة وواضحة جدًّاً، وباتباع الطرق السليمة للتفكير يمكن الوصول إلى حجج عقلية منطقية قابلة لأن تؤدي إلى قناعات.

الثاني:- القبول القلبي، فإن النتيجة المنطقية الناتجة عن التفكير السليم ما لم يستقبلها القلب ويطمئن إليها لا تفيد شيئاً. لكن إذا قبلها القلب صارت قناعة وتولد منها الإيمان"(٤٩).

ويلحاظ أن من وجه إليه الخطاب الحسينيّ لم يكن على مستوى واحد؛ بل هناك النخبة في المدينة المنورة ومكة المكرمة، والبصرة، وفي كربلاء يوم الطف، وكثير من هذه النخبة كان

مسلطاً ومتحكماً بمصائر رهط كثير من الجنود أو الاتباع، ولم يوجه الخطاب نحو فئة محددة من هؤلاء؛ بل إن كلاً منهم نال حظه ونصيبه من الخطاب، ونتج عن توجيه هذا الخطاب أن آمن به من لم يكن معه كزهير بن القين؛ بل من كان ضده كالحر بن يزيد الرياحي، ورفضه غيرهم كعمر بن سعد ومن بعث للإمام رسائل تأييد ودعوة، وما هذا إلا نتيجة عوامل أشرنا إليها في ما تقدّم، وسنركّز في مطلبنا هذا على العوامل المساعدة في نجاح القوة الإنجازية وجعل الخطاب مؤثراً في المتلقي، وأبرز هذه العوامل تتلخص بالآتي:

٥-١- الخلاف الفكري والعقيدي:

بدأ الإمام الحسين(عليه السلام) توجيه خطابه نحو الهاشميين وأخبرهم بأنه راحل عن المدينة المنورة متوجهاً إلى مكة رافضاً إعطاء البيعة ليزيد، مهما كانت النتائج،" فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَكَّةَ وَأَهْلُهَا مُخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَأْتُونَهُ وَمَنْ بِهَا مِنَ الْمُعْتَمِرِينَ وَأَهْلِ الْآفَاقِ"[٥٠]، وهذه اللقاءات لم تسفر عن تغيير قناعات العامة، ولم تفلح في إزاحة يزيد عن سدة الحكم، على الرغم من استعمال الإمام الحسين(عليه السلام) الأدلة على بطلان بيعة يزيد وأنه صاحب الحق، مدعماً هذه الأدلة بالآيات القرآنية كقوله (عليه السلام) "**أما بعد فان هذا الطاغية، قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم، ورأيتهم، وشهدتم، وبلغكم. وإني اريد أن أسألكم عن أشياء فان صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمنتم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فاني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون**"[٥١]، واستعمل كذلك الوثائق التاريخية كمعاهدة الصلح التي أبرمت بين الإمام الحسن(عليه السلام) ومعاوية[٥٢]، وعدم الاقتناع عائد هنا إلى أنّ العامة استقرت على حكم بني أمية تبعاً لخط الخلافة بدءاً بخلافة أبي بكر وعمر، وعثمان، وجاءت خلافة معاوية لتمثل حلقة تكمل سلسلة هذه الخلافات، أما الإمام الحسين(عليه السلام) فهو في نظر عوام أهل مكة أيقونة تحيل على حكم الإمام علي(عليه السلام) ذلك الحكم الذي يتساوى فيه السيد مع العبد وليس فيه إيثار أحد على أحد، أضف إلى هذا "أن أهل مكة رغم احتفائهم بالحسين(عليه السلام) لم يكونوا على درجة عالية من الاستعداد الثوري كما يقول المعاصرون، ومعارضتهم كانت ذات طابع وجاهي، كما أنها في المدينة كانت تنطلق من مركزية اجتماعية، لا تحمل صفة الجذرية والقوة والحيوية"[٥٣].

أما زهير بن القين ذلك الرجل العثماني الهوى الذي تغيرت ميوله واتجاهاته بمجرد لقاء واحد مع الإمام الحسين(عليه السلام)، فقد اعتمد على ما قرّ في ذهنه من معلومات مسبقة، منها، حقائق تاريخية، فقال مخاطباً قومه بعد اجتماعه مع الإمام الحسين(عليه السلام) " مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتْبَعَنِي وَإِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا، غَزَوْنَا بَلَنْجَرَ فَفُتِحَ عَلَيْنَا وَأَصَبْنَا غَنَائِمَ فَفَرِحْنَا وَكَانَ مَعَنَا

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَقَالَ لَنَا: إِذَا أَدْرَكْتُمْ سَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُ بِمَا أَصَبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْغَنَائِمِ"(٥٤)، وبإمكاننا أن نستشف أن الخطاب الذي وجه لزهير من الإمام(عليه السلام)، حوى كثيراً من الحقائق والوقائع، التي هي مخزونة في ذاكرة زهير، كانت تفتقر إلى المثير الصادق في تصوراته؛ كي يعيد تفعيلها، ونقلها إلى دائرة الحضور الشاخصة، فلما عادت اقتنع زهير بدعوى الحسين، وآمن به وربط مصيره بمصيره.

٥-٢- الموقف السياسي:

وقفت النخبة السياسية في محرم الحرام بقيادة عبيد الله بن زياد حائلاً دون تحقيق الإمام الحسين(عليه السلام) أهدافه ومقاصده، وبعد أن استيأس الإمام من انفعالهم بدعواه راح يذكرهم بحقائق ووقائع عاشوها وخبروها، قائلاً: "**ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق برسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟**"(٥٥)، جملة الحقائق هذه لم يستطع هؤلاء القوم إنكارها، فهي تمثل عاملاً مشتركاً لدى المتكلم والمخاطب، وهي تفضي على الخطاب سمة الحجاج؛ فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس. إن الوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشك وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج، وتنقسم على وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ووقائع مفترضة، من ناحية أخرى. وبناء على هذه الحقائق والوقائع التي لا يقدر جيش عبيد الله أن ينكرها تحول المخاطب إلى كومة صلبة من اللحم والعظم عاجزاً عن الرد، وما هذا إلا لأن المتكلم قد أجاد في تبليغ حجته، فعرف "حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها"(٥٦).

عمد هؤلاء إلى الإنكار في سبيل مواجهة هذه الحقائق، فقد أجاب الشمر الحسين(عليه السلام) بقوله: "يا حسين ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم"(٥٧)، وقال قيس بن الأشعث: " لا ندري ما تقول"(٥٨). والإنكار آلية من الآليات التي يعمد إليها المحاور في سبيل التأثير في سامعي الحوار

من غير المتحاورين، فالقصد من هذا الإنكار هو إيصال رسالة إلى جيش عبيد الله أن الحسين(عليه السلام) يقول كلاماً غير مفهوم.

٥-٣- الانتهازية الوصولية:

إن مشاهد كربلاء تنقل لنا صورتين من الصراع النفسيّ، لقائدين عسكريين صراع داخلي بين من آمن به هذان القائدان وعرفاه من حقائق ووقائع على الأرض، وبين ما يطمحان إليه في سلم الرتب العسكرية، الصورة الأولى هو عمر بن سعد الذي ترأس جيش عبيد الله، الذي يبدو عليه التردد واضحاً جلياً حينما يقول للحر: "أما لو كان الأمر إليّ لفعلت، [أي لتركت القتال] ولكن أميرك قد أبى"(٥٩).

وكان تأثير الخطاب عليه سلبياً؛ أي رافضاً لهذا المقال؛ فهو قد وعى الخطاب وفهمه، ولكنه أوله بحسب رغبته، فهو قد سمع مقالة الحسين (عليه السلام) وعرف حقيقتها، وعلم أنه الحق، ومع هذا لم يوافقه ولم يقف معه، وما هذا إلا بسبب القوة التأويلية التي امتلكها عمر فغير القول في نفسه، وبحسب عبارة شاردو: "إن التأويل بالنسبة للذات المؤولة هو وضع فرضيات حول معرفة الذات المتلفظة، وحول آراء الأخيرة إزاء الموضوع وإزاء ذاتها"(٦٠)، وقد تجسد هذا التأويل بتسليطه رغباته وأهواءه على تأويل الخطاب الحسيني ليوجهه الجهة التي تنسجم مع هذه الأهواء فقال(٦١):

أَأُتْرَكُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ رَغْبَةٌ ... أَمْ أَرْجِعُ مَذْمُومًا بِقَتْلِ حُسَيْنِ

وَفِي قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا ... حِجَابٌ وَمُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيْنِ

والصورة الأخرى الحر بن يزيد الرياحيّ، فلم يتردد إلا حينما تيقن أن جيش عبيد الله مصرٌ على قتل الحسين(عليه السلام) أو يبايع يزيد، دخل الشك في قلبه من حقيقة الموقف الذي يقف فيه، ما الذي يحدث؟ هذا ابن بنت النبيّ يرومون قتله؛ ما الذي فعله؟ هذه الأفكار وغيرها شتت أفكار الحر بن يزيد الرياحي " فقال له مهاجر بن أوس: ما تريد؟ أتريد أن تحمل؟ فأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة، فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قطُّ مثل هذا"(٦٢)، وحينما وصل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) قال: "ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت"(٦٣).

وهناك صورة من صور الانتهازية تحضر في مسير الإمام من مكة إلى الكوفة فقد التحقت به أعداد كثيرة من القوم الذين علموا أن أهل الكوفة بايعوا الإمام(عليه السلام)، وهو راحل إليهم ليؤمهم

قائداً؛ فساروا معه على هذا الأساس، إذن سيكون هؤلاء من بلاط الحاكم فهم السابقون إلى البيعة والنصر؛ ولكن هذه الحقيقة سرعان ما أن تبدلت بعد أن وصل خبر انقلاب أهل الكوفة واستشهاد مسلم بن عقيل، فجمع الإمام عليه السلام أنصاره قائلاً لهم: " **قَدْ خَذَلَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ. فَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ ظَنُّوا أَنَّهُ يَأْتِي بَلَدًا قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمُوا عَلَامَ يَقْدَمُونَ**"(٦٤)، بعد هذا الخطاب لم يبق معه إلا من جاء معه من مكة.

٥-٤- الخوف من سطوة الحاكم:

مثّل الخوف من سيف يزيد وجيشه، عاملاً أساسياً في عدول كثير من عوام الكوفة ودخولهم جيش عبيد الله، فلو عدنا إلى الكوفة وقت حركة مسلم بن عقيل لرأينا أن ألوفاً صلوا خلف مسلم في مسجد الكوفة، وبعد حين حمل هؤلاء السيوف على الحسين عليه السلام، ومن الكلمات التي رعدت في قلوبهم، وغيرت قناعاتهم، قول عبيد الله: "إن يزيد ابنه المتقيل له السالك لمنهاجه، المحتذي مثاله، وقد زادكم مئة مئة في أعطيتكم، فلا يبقينَّ رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، فإيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن برئت منه الذمة"(٦٥)، بعد هذا الخطاب الموجه إلى جميع الرجال في الكوفة "لم يبق في الكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة"(٦٦)، هذا الخطاب الرسمي المقابل لخطاب الإمام الحسين عليه السلام، خطاب أرعد صاحبه ووعد، وضرب بالسوط بيده اليمنى ومسك الجزرة باليسرى، خرّت قلوب رجال الكوفة قبل رقابهم موالية لابن زياد؛ تاركة ما كان من بيعة للإمام الحسين عليه السلام.

نجح هذا الخطاب -خطاب عبيد الله- في التأثير في سلوكيات أهل الكوفة وإن لم يؤثر في قناعاتهم، فحسب قول الفرزدق للإمام: ""قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ"(٦٧)، هذه المعاني نجد نقيضها في الخطاب الحسيني الموجه إلى جيش الكوفة، فقال: "**إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم، أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، أنصرف عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم**"(٦٨)، بهذا الخطاب ارتسمت أمام أهل الكوفة صورتان: الأولى: تدعوهم إلى الصلاح والرحمة ونصر الإسلام، تؤطرها دعوة صالحة، والأخرى: تدعوهم إلى قتل الحسين عليه السلام وتهدد الممتنع بالسيف وتغدق على المجيب العطاء، لم يطل التفكير بأهل الكوفة حتى اختاروا السير في ركاب ابن زياد، يحدوهم ضعف إيمانهم في حقيقة الدين الإسلامي، وكثيراً ما تكررت هذه

الظاهرة الاجتماعية وتتكرر في كل زمان ومكان، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾(٦٩)، ونرى أن هذا السبب هو نفسه الذي منع رجال البصرة الالتحاق في صفوف الإمام الحسين عليه السلام .

٦- النتائج:

تتبع الخطاب الحسينيّ في مراحله كافة، كشف لنا نتائج نوردها على النحو الآتي:

١- قدّم الإمام الحسين عليه السلام خطابه ناصحاً واعظاً، لم يؤطره باللزوم القهري، أو بالقوة العسكرية؛ بل إنه استعمل القوة العسكرية مدافعاً عن نفسه، ومحامياً عن أهل بيته وأصحابه.
٢- لم يكن الخطاب الحسيني موجهاً نحو نوعٍ واحد من المخاطبين؛ بل إنه خطاب وجه إلى الموافق والمخالف؛ ليدعم المؤيد ويحاول تغيير قناعات المعارض.
٣- اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في بيان أحقية خروجه على يزيد، على مقتضيات الحوار وافتراضات مسبقة، محفوظة في ذهن المخاطبين.
٤- أحجم يزيد وأعوانه عن ردّ خطاب الإمام عليه السلام بالحجة والبرهان؛ بل تركوا السيوف والرماح تجيب عن الحجج والبراهين المقدمة من الحسين عليه السلام، وهذا دليل على ضعف حجتهم، وبطلان رأيهم.

٧- هوامش البحث:

(١) ينظر: أحمد مزواغي، أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية (ماجستير): ٤٨، وهشام بلخير ، آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أنموذجاً دراسة حجاجية (ماجستير)،: ١٥.

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ه)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ٥/ ٣٢.

(٣) حازم القرطاجنيّ (ت٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة: ٢٠.

(٤) أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكيّ (ت٦٢٦ه)، مفتاح العلوم، تحقيق: الدكتور. عبد الحميد هنداوي: ١٧٧.

(٥) محمد العبد، النص والخطاب والاتصال،: ١٩٢.

(٦) هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة: محمد العمري: ١٠٢.

(٧) عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة: ٤٥١.

(٨) سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة: ١٨٧- ١٨٨.

[٩]د. ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل،: ٣٤٢.
[١٠] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن: ٢٠- ٣٨.
[١١]أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج: ١٤.
[١٢]محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (بحث): ٦١.
[١٣]معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، كتاب الأمة، الدوحة ٢٠٠٣: ٣٧.
[١٤]عامر مصباح، الإقناع الاجتماعيّ: ٥١.
[١٥]السيد محسن الأمين العامليّ، أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٣.
[١٦]هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ١٥٩.
[١٧]الشيخ مهدي الآصفي، تأملات في زيارة وارث،: ١٥٧.
[١٨]محمد باقر المجلسيّ (ت ١١١١ه) بحار الأنوار: ٤٥/ ٨.
[١٩]أحمد مزواغي: ٥٣.
[٢٠] أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري: ٥/ ٤٠٩.
[٢١] أحمد بن علي الحسني (ت٨٢٨ه)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٣٥٧.
[٢٢] محمد باقر المجلسيّ: ٤٥/ ١٥.
[٢٣] ينظر: عامر مصباح: ٥٤.
[٢٤] أبو الطبري: ٥/ ٢٣٨.
[٢٥]أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ه)، كتاب الفتوح: تحقيق: علي شيري: ٥/١٤.
[٢٦] السيد محسن الأمين العامليّ: ١/ ٥٨١.
[٢٧] ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ، ترجمة: سعيد الغامدي: ٢٠٢.
[٢٨] ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربيّة: ٤٩٩، ويحيى بعيطيش، الفعل اللغويّ بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: ٩٧.
[٢٩] ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية،: ٦٣.
[٣٠] ينظر: نفسه: ٨٣.
[٣١]المحقق عبد الرزاق المقرَّم، مقتل الحسين(عليه السلام) ا: ١٤٤.
[٣٢] ينظر:، دان سبيربر وديدري ولسن، الإفادة، ترجمة: الدكتورة. عفاف موقو، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والتداوليّة :٥٨٩.
[٣٣] المجلسيّ: ٤٥/ ٥.
[٣٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/١٥.
[٣٥] نفسه والصفحة نفسها.
[٣٦] ينظر: د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة،: ٢٠٨.
[٣٧] المجلسي: ٤٥/ ٨.
[٣٨]ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه القرآن،: ٩٤.

(٣٩) عادل عبد اللطيف: ٢١٠.

(٤٠) المجلسي: ٤٥/ ٦.

(٤١) نفسه: ٤٥/ ١٠.

(٤٢) نفسه: ٤٥/ ٧.

(٤٣)د. خديجة محمد الصافي، نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية: ٨٣.

(٤٤) المجلسيّ: ٤٣/ ٤٧٢.

(٤٥) جون سيرل: ٢٠٣.

(٤٦) شكري المبخوت، إنشاء النفي، وشروطه النحوية والدلالية: ١٥٥.

(٤٧) هشام بلخير: ٣٠.

(٤٨)محيي الدين حمدي، عمل القول بين الإمكان والامتناع(بحث)،: ٣٦.

(٤٩) اخالد حسين حمدان، لإقنـــــــــاع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم دراسة وصفيَّة تحليليَّة.
http://uqu.edu.sa/page/ar/59379#_edn3

(٥٠) ابن الأثير: ٣/ ١١٩.

(٥١) المجلسي: ٤٤/ ١٢٧.

(٥٢) ينظر: أحمد بن علي الحسنيّ: ٥٢.

(٥٣)غالب الشابندر، مراجعة البيان الحسيني: ١٣.

(٥٤)ابن الأثير: ٣/ ١٥٢.

(٥٥) المجلسي : ٤٥/ ٩.

(٥٦) نفسه: ١٤.

(٥٧) نفسه: ٤٥/ ٨.

(٥٨) نفسه: ٤٥/ ٩.

(٥٩) نفسه: ٤٥/ ١١.

(٦٠) ذهبية الحاج حمو: ٧٨.

(٦١) ابن الأثير: ٣/ ١٦٣.

(٦٢) المجلسي: ٤٥/ ١١.

(٦٣) نفسه: ٤٥/ ١١.

(٦٤) ابن الأثير: ٣/ ١٥٢.

(٦٥) البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٤١٦.

(٦٦) نفسه والصفحة نفسها.

(٦٧) ابن الأثير: ٣/ ١٥٠.

(٦٨) الطبري: ٦/ ٣٠٧.

(٦٩) الزخرف٥٤.

المراجع والمصادر:

أولاً: الكتب:

- ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ه)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط١، ٢٠٠٦م.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠ه)تاريخ الطبري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ه)، كتاب الفتوح: تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- أحمد بن علي الحسني (ت٨٢٨ه)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: عبد الله السادة، وعارف عبد الغني، دمشق، دار كنان، ٢٠٠٧م.
- اسحق بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت).
- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعيّ، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، والمركز الثقافي العربيّ، ط١، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.
- حازم القرطاجنيّ (ت٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت- لبنان ، ١٩٨٦م .
- حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، مجموعة باحثين، إعداد وتقديم، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣٢ه- ٢٠١١م.
  - الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة باحثين، إعداد وتقديم، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- خالد ميلاد، الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة، دراسة نحويّة تداوليّة، جامعة منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٣٢١هـ-٢٠٠١م.
- خديجة محمد الصافي، نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠٠٨م.
- ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع ٢٠١٥م.
- سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٨م.
- السكاكيّ (ت٦٢٦ه)، مفتاح العلوم، تحقيق: الدكتور. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠١١م.

- شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحويّة والدلاليّة، مركز النشر الجامعيّ، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، جامعة منوبة، (د.ت).
- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي ، ديوان المطبوعات الاجتماعية، الجزائر، ٢٠٠٩م.
- عبد الرزاق المقرَّم العلامة والمحقق، مقتل الحسين (عليه السلام)، دار الكتاب الإسلاميّ ، بيروت ــ لبنان، ط٥، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة، الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٤ م.
- عز الدين مجدوب، إطلالات على النظريّات اللسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معرّبة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠١٢م.
- غالب الشابندر، مراجعة البيان الحسيني استعراض وتشريح، الدار البيضاء، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٥م.
- محسن الأمين العامليّ أعيان الشيعة، حققه واخرجه وعلق عليه: السيد حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، (د، ت).
- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الدكتور.، الأكاديمية لحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- محمد مهدي الآصفي، تأملات في زيارة وارث، مركز دراسات نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) (د.ت).
- معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ، كتاب الأمة، الدوحة ٢٠٠٣م.
- هادي سعدون هنون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، ، النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢م، العتبة العلوية، ٢٠١١م.
- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة: د، محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- أحمد مزواغي، أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية، (ماجستير) كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م.
- هشام بلخير، آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء أنموذجاً دراسة حجاجية (ماجستير)، ، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١٢م.

ثالثاً: البحوث في الدوريات الجامعية:

- محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر الكويت، مج٢٨، ع٣، يناير/مارس، ٢٠٠٠م.
- محيي الدين حمدي، عمل القول بين الإمكان والامتناع، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الخامس، ٢٠١٣م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- خالد حسين حمدان، الإقنـــــــــاع أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم دراسة وصفيَّة تحليليَّة. http://uqu.edu.sa/page/ar/59379#_edn3.